آرا في الزواج

(تتمة المنشور في العدد الماضي)

يبلغ الفتيان والفتيات سن النضوج ويصبحون كالغزلان يمرحون في أودية الهوى ويغدو كل واحد وواحدة يسعى الى الاتصال بالجنس الاخر وتسادر افكارهم وافكارهن الهواجس وتتمثل امام عيون الفريقين صور مختلفة مغشاة بالاسرار . فالشاب ينظر نظرات قاتلة الى كل فتاة أو امراة جميلة تمر امامه واذا أبصر صورة امرة عارية او تمثال امرأة من المرمر تهيج أعصابه ويضطرب فؤاده بل يكوى قلبه بنار الغرام . ولفظة المرأة ترن في اذنيه رنين السهم في الفؤاد بل تسبب له الاضطراب والخوف بل يقوده الوهم الى ان كل امرأة تدعوه اليها . اما الفتاة فانها في هذا الوقت تغض الطرف أمام نظرات كل شاب واذا وقع في يدها كتاب فانها تبحث فيه قبل كل شيء عن الفاظ الحب والهيام والوجد والغرام وتغرق في الافكار المضطربة وكثيراً ما تقودها هذه الهواجس الى الوقوف امام المرآة والنظر الى جمالها ومقارنته بجمال صويحباتها وجاراتها . ولا غرابة في ذلك فان الثمرة نضجت ولا بد من قطفها . وكثيراً ما يستسلم الشاب او الشابة الى الافكار المتجمعة في الرأس وكثيراً ما يذرف كل منهما الدمع السخين وكثيراً ما يفقد الواحد منهما لذة الحياة ويفارق عينيه الكرى ولذا فلا يجب ان نعجب وندهش لحوادث الانتحار الآتية من طريق الحب والغرام

ومن آفات هذه المدنية الكاذبة ان الاباء والامهات يدفعون اولادهم من ذكور واناث الى ميادين الغرام ويمدون لهم المعدات اللازمة ليحرزوا قصب السبق ويتفوقوا على الاقران من ملابس حريرية جذابة وطيوب وعطور واصبغة ليتضمخوا بها ويرسلونهم الى مدارس الرقص لاتقان هذا الفن ويعلمونهم التوقيع على آلات الطرب ويصطحبونهم معهم الى الليالي الراقصة والاجتماعات الخافقة ولا يجدون

غضاضة في تناول اباتهم وبناتهم كؤوس الشراب ومخاصرتهم لشبان وشابات لا تكون لهم بهم او بهن سابق معرفة . ولله ما يحدث في الليالي الراقصة من خبائث وصغائر وكبائر . واغرب من هذا وذاك انه اذا انتهت تلك الليلة وجاء ذكرها في سمر العائلات بعد ذلك فان كل ام تفتخر بان بنتها كانت زينة تلك الليلة بملابسها وجواهرها واتقان رقصها وانها فاقت نظيراتها في الرقص ورشاقة الحركات وخفة الروح وغير ذلك من الاوصاف والنعوت . ولا تستحي من القول بان الشبان كادوا يفقدون رشدهم من تأثير جمال كريمتها وان عينيها رشقت اقدمهم بنبال فادمتها

تزعم كل امرأة كما يزعم كل رجل انه لا تمضي ايام بعد تلك الليلة الراقصة التي خلبت بنتها فيها العقول وادهشت الابصار وحيرت الافكار انه سيتقدم عشرات من الشبان لطلب يدها وفاتها ان الحوادث العديدة ابدت نظرية واقعة : بان كل شاب اذا اراد الزواج يستعرض كل فتيات بلدته أمام نظره ولا يخطر على باله ابداً فكر الزواج بكل فتاة عرفها في نوادي الرقص ومحافل القصف بل يبحث عن ضالته في البيوت الشريفة التي يأبى عليها شرفها عرض بناتها كما يعرض التاجر التماثيل البديعة الصنع في نوافذ حانوته

ينشد الشعراء ويكتب الروائيون عن الحب الصحيح بين حبيبين ولكن دلت الحوادث على ان دوام الحب بين اثنين من المحال . لان الرجل لا يفتأ رجلا يتطلب الجديد وقلبه السريع التقلب والمرأة لا تزال مرأة ترمي الى التأثير على الرجال وهي اذا وجدت في مجتمع فانها ترمي الرجال بنبال عينيها ويكون سرورها عظيماً اذا رأت ان جمالها يؤثر على الحاضرين بل ما أشد غيظها اذا رأت الرجال يتزلفون اليها ويسعى كل واحد لنيل رضاها

وما اعظم جريمة المرأة في نظر الناس اذا خانت زوجها وباعت شرفها واما الرجل فلا بأس عليه ولا حرج اذا اتصل باكثر من واحدة او اذا خان عهود الزوجية . ومن البراعة بمكان عظيم ان يطلب الرجل من زوجته ان تحافظ على العفة والشرف والحب ويسمح لنفسه في الوقت ذاته بالانغماس في حمأة الشهوات

والملاذ والتنقل من خلية الى خلية ومن غانية الى غانية

وقد ايد الكاتب نظرياته هذه بقول الفيلسوف تولستوي الذي يقول في الزواج ما يأتي : ان دوام الحب بين الزوجين من رابع المستحيلات . انه قد يكون حب ولكن الى وقت قصير جداً ، ثم لا يدوم الا في الروايات فقط ، وأما بين الناس فعديم الاستقرار في قلبين معاً ، وكل رجل متزوجاً كان او غير متزوج اذا اجتازت به غادة فاتنة فاكثر ما يكون ان يوجه اليها التفاته وقد يبذل بعضهم كل مرتخص ونفال بعد ذلك في سبيل الوصول اليها . والمرأة من هذا القبيل كالرجل فانها تجتهد للاتصال باكثر من واحد دائماً وما دام بمكنها هذا الاتصال فهي ناشة اربها لا محالة

اذا قلنا انه يمكن للمرأة ان تحب زوجها طول الحياة ، فما منعنا في ذلك الا مثل من يوقد شمعة ويعتقد انها تدوم مضيئة طول الدهر

ان الزواج أصبح في عصرنا هذا بيننا محض وخداع وغش ، ولكنه لا يزال يوجد عند اولئك الذين يرون فيه سراً من اسرار الدين كالمسلمين والهنود . أما نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية

الزوجان يخدعان الناس بانهما يعيشان معاً في ارتباط عائلي حقيقي بالزواج . يظهر كذلك أمرهما في الخارج لكل من رآهما وانهما سيبقيان في تمام الوفاق ما دامت الحياة ، والحقيقة انهما يعيشان على قاعدة تعدد الزوجات ، ولكن من الجانبين وبهذا التكافؤ يتفقان زمناً . وعلى الاكثر ان كليهما في الشهر الثاني يهدد صاحبه بالطلاق . وقلما يتمكنان من وسائله . وعن ذلك تصدر الافكار الخبيثة الجهنمية التي ينجم عنها اطلاق الرصاص انتحاراً أو قتلا أو دس السم وما اشبه

حجبوك عن مقل الانام مخافة ... من ان تخدش خدك الابصار
فتوهموك ولم يروك فأصبحت ... من وهمهم في خدك الاثار